الثورة السورية وحسابات السوق

الكاتب : عبد العزيز الحاج مصطفى

التاريخ : 23 مارس 2016 م

المشاهدات : 4367

تقسيم سورية، أو فيدراليتها، حسب السيناريو الجديد المراد له أن ينفذ في سورية، بات اليوم قاب قوسين أو أدنى من الوضع على طاولة المفاوضات، في جنيف أوفي خارجها. ومهما قيل عن هذه الفيدرالية، فهي (المشروع النموذج) الذي يراد له أن يعم المنطقة (الشرق أوسطية) طوعاً أو كرها وبالوسائل المتاحة، وفي إطار مدة زمنية محسوبة.

وهذه الفكرة وهي (جديدة وقديمة) من صنع القوى الخارجية التي تتآمر على الشعب السوري، وتحاول إجهاض ثورته، والقضاء على وحدته الوطنية وإدخاله في دوامة من الفوضى التي قد لا تنتهي بعشرات السنين.

والمعروف أن المشروع الطائفي (العرقي و الديني)، أول من تحدث به رسمياً قادة إسرائيل (هرتزل وبن غوريون وبيريز) وذلك من منطق المصلحة الصهيونية وقد كانت سورية إحدى دول المواجهة، التي كان يحسب حسابها، و تشكل خطراً على الدولة اليهودية منذ نشأتها في فلسطين سنة 1948م.

وقد أصبح ما يجري في سورية من اقتتال دام بين النظام والفصائل السورية، مدخلاً لتحقيق الأهداف الصهيونية من خلال فرض سياسة الأمر الواقع، التي تضطلع بها الدول الكبرى، ومنها تحديداً روسيا والولايات المتحدة الأمريكية.

بصرف النظر عن رغبة الشعب السوري، أو عن رأيه وإرادته، وبصرف النظر عن الفصائل العاملة على الأرض السورية، وعن حجمها وقدراتها، وطاقتها القتالية. وبصرف النظر عن ماهية النظام السوري، وعن حقيقة ما هو عليه من دموية أو إرهاب.

و(المضحك والمبكي) في هذه المسألة و(المؤسف جداً) أن الأبعاد الحقيقية للقضية السورية تقرأ دائماً من قبل أصدقاء سورية، و من قبل شركائها في المصير بطريقة معكوسة، أو بنظارة غير مطابقة فتكون القراءة غير مجدية ولا تفي بالغرض، وفي بعض الأحيان قد تضرُّ، وهذا ما لحظ ويلحظ من تصرفاتهم.

إذ أن الحسابات الميدانية الدقيقة، ومنها: معرفة الأعداء والأصدقاء، وما هم عليه من قوة، هي التي يمكن أن تفيد في مثل هذه الظروف الصعبة.

فالمعركة على الأرض السورية ستطول ولن تتوقف وإذا كانت قد بدأت أولاً مع النظام ثم تحولت بقدرة قادر لتصبح بين الإرهابيين وغير الإرهابيين فلا نعجب بعد ذلك إذا أصبحت بين الشعب السوري وبين التحالف الصهيو إيراني.

ولا نعجب بعدها أن تكون الورطة الكبرى فتصبح إقليمية، وتلك هي براعة المخرج الأول صاحب (السيناريو الجديد) الذي يركب مركب الفيدرالية ويسعى جاهداً من أجل فرضها على الشعب السوري كنموذج قامت عليه دول كبرى كالولايات المتحدة الأمريكية والهند واليابان وغيرها من الدول وكواقع مفروض، بعد الحريق الهائل الذي يعتام سورية كلها. وذلك من باب الخداع والمخاتلة.

وهذا العرض الموضوعي جدا، يوقف الأعداء والأصدقاء عند ضرورة معرفة توقعاتهم للمستقبل، وما يمكن أن تؤول إليه الأمور بعد فدرلة سورية أو كنتنتها وبعد تحويلها إلى بؤر مشتعلة بشكل دائم. وهذه البؤر لن تكون مقصورة على الساحة السورية حسب، كما لن تكون محصورة فيها وبالتالي فهي النار التي ستحرق الأيدي التي أشعلتها أولاً وستلحق الأذى والضرر بكل المصالح التي كانت ذريعة غير مبررة للتدخل في سورية، ولإخراج ذلك السيناريو غير المحترم.

أما السوريون – ونحن منهم- فتلك فرصتهم. وكما يقول المثل الصيني طريق الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة.

فقد مشيناها خطاً كتبت علينا *** ومن كتبت عليه خطا مشاها.

وتلك هي فلسفة الثورة، وما عليه الثوريون من إرادة وتصميم. فالثورة العظيمة تحتاج إلى الثوار العظماء والثوار العظماء لا يخضعون في قياساتهم للمقاييس الوصولية أو الانتهازية، بل يخضعون للمقاييس الثورية الحقيقية وهي مقاييس معروفة، ولسنا في حاجة إلى التفصيل فيها، أو الحديث عنها أكثر من ذلك.

وإذا كان اليسار الدولي قد ضرب أكثر من مثل في كوبا و فيتنام ولاوس وكمبوديا، فإن الإسلاميين ضربوا المثل الأكثر روعة في أفغانستان، وقد جعلوا الروس يخرجون صاغرين وهم لا يكادون يلتفتون وراءهم لهول ما لاقوه في مواجهة المجاهدين الأفغان. وهذا يعني أن الدرس سيكون قاسياً وسيهزم الجمع ويولّون الدبر، مهما كانت المواجهة صعبة، وأمد المعركة طويلاً، ومهما أجلب الأعداء من قوات.

وهذا الكلام ليس مبالغة منا، ولا من باب الإنشاء الأدبي، أو ما يدخل في باب الطموحات الشخصية، ولكنه بعض من حسابات السوق الدقيقة التي قد لا يختلف حولها اثنان.

فكما هو معروف دولياً أن الحرب تجارة، وأن التجارة عند العقلاء والمجانين يجب أن تكون رابحة، و إن لم تكن رابحة فلا جدوى منها، وهذه هي النهاية الحتمية لأية حرب يوقدها العقلاء أو المجانين.

فالقضية السورية، وما ستشهده من (كنتنة) أو (فدرلة) ستتحول إلى مسألة إقليمية، وإلى أتّون ملتهب تحترق بداخله المصالح الكبرى والصغرى ويهرب منها الدخلاء و المأجورون، والذين تداعوا سابقاً إلى ساحتها طمعا بالمرابح، وذلك وبعد أن تبين لهم وبالقرينة الدالة أن الميزان أصبح خاسراً، وأنهم لا طاقة لهم بعد على الاستمرار في تحمل تبعاتها، وقد أصبحوا من المتأذين منها حقيقة.

وإذا كان بوتين أول من هرب منها بعد أن تبيّن له أن ميزانه أصبح خاسراً، فإنه سيتبعه آخرون، وهؤلاء الآخرون وهم اليوم يلغون في الدم السوري سينسحبون الواحد تلو الآخر، بعد أن يتبين لهم خسارة الموقف، وأن الميزان ليس في صالحهم.

فالأوربيون وهم تجار سيراجعون حساباتهم بدقة، وسيفعلون ما فعله بوتين قبلهم، بعد أن يدركوا أن لا جدوى من هذه الحرب، التي تأكل الأخضر واليابس والتي توسع رقعتها قد يشملهم قبل غيرهم. وسيل اللاجئين الذي يتوجه إلى بلدانهم اليوم، سيكون موضع المراجعة وسيكون القشة التي ستكسر ظهر البعير في هذه المسألة الحسابية الدقيقة والشائكة.

والأمريكيون، وهم تجار كذلك، سيراجعون حساباتهم بدقة وسيفعلون ما فعله قبلهم الروس والأوربيون وذلك للأسباب ذاتها بعد أن يدركوا أن الميزان أصبح خاسراً. و ما تصريحات المرشح الجمهوري ترامب المعادية للمسلمين، إلا تعبيراً جاداً عن تأذي الأمريكيين من تشابك العلاقة مع المسلمين، ومن احتمال انتقال الإرهاب إلى الولايات المتحدة نفسها، بعد توسعه وانتشاره وتجاوزه الحدود الإقليمية، التي أريد له أن يحصر بداخلها ولا يخرج منها.

وهذا الانسحاب وهو المآل الحتمي لكل القوى الدولية المشاركة، في الحرب الدائرة في المنطقة الشرق أوسطية سيعيد القضية إلى مربعها الأول، بعد ذلك الانتشار الواسع، وسيكون الخاسر الوحيد فيها هو الذي ابتعثها أولاً، وقد أراد لها أن تكون قاصمة الظهر بالنسبة لسكان المنطقة الشرق أوسطية فكانت قاصمة الظهر له شخصياً وهذا ما نبشر به بعد، فالمسألة أولاً و آخراً حسابات سوق، وحسابات السوق في حاجة دائماً إلى المختصين، والمختصون هم الذين يجيدون قراءة مثل هذه القضية الخطيرة، وفهم أبعادها الخفية والمعلنة، بالرغم من كل ما يثار حولها من إشكالات.

مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية

المصادر: